مازلنا بعيدين عن اليوم العالمي للايدز حدث يحتفل به اواخر شهر تشرين الثاني من كل عام ، بفعاليات اعلامية مكثفة توضح خطورة المرض ، وبالسعي الجدي لتوفير كل مستلزمات مقاومته مادامت سبل القضاء عليه مستعصية ، ومع ذلك فان هذه الفعاليات الاعلامية وهذا السعي ، مستمران على مدار العام في عموم الدول الاوروبية ،

الأيدز مرض الدمار الشامل!

الوباء الذي يحصد سنوياً ملايين الاشخاص

صافي ياسر

وفي رحلتي الاخيرة الى روما من ١٠ الى ٢٠٠٥/٥/١٩، استرعت انتباهي اجراءات الجهات الصحية الايطالية (على وفق تعليمات وزارات الصحة في دول الاتحاد الاوروبي) المتخصصة بالفحوصات المختبرية الدقيقة للقادمين للمرة الاولى الى ايطاليا أو الى دول الاتحاد الاوروبي فمن المعلوم ان دخول احدى دول الاتحاد، سيعفيك من اجراءات الدخول في الدول الاخرى، كالفحوص الطبية والفيزا وماالى ذلك، والدولة التي تدخلها اولاً هي التي تتولى كل هذه الاجراءات نيابة عن بقية دول الاتحاد الاوروبي، وهذا مافعلته ايطاليا حين دخلتها.

وحين تأكدت سلطات مطار روما من هويتي (صحفي عراقي) كما يشير جواز سفري، قدم لي ممثل عنها مجموعة من المطبوعات السياحية ومطبوعات اخرى باللغة الانجليزية والعربية حول مرض (الايدز) وعرفني الى الدكتورة ليزا سيموني ممثلة السلطات الصحية في المطار والمسؤولة عن الحملة الاعلامية والتوعية ضد مرض الايدز عند الاعلاميين الاجانب، وقد دعتني الى جولة في روما وعدد من المدن الايطالية مع مجموعة اخرى من الصحفيين الاجانب، فاعتذرت بسبب ضيق الوقت الذي سامضيه في ايطاليا، ووافقت على المرافقة خلال جولة روما وخلال هذه الجولة التي تمت يوم الخميس ٥/١٢ عرفتنا الدكتورة ليزا سيموني على الاجراءات المتخذة في علاج المصابين بهذا المرض، وتخصيص مستشفى خاص بهم، ومحاولة تبيان الطريقة الصحيحة لهم للاختلاط بالمجتمع من دون الحاق الضرر (العدوى) بالاخرين، وشرح لنا احد الحقوقيين الايطاليين في محاضرة خاصة، سعي الحقوقيين الانسانيين الايطاليين لاقناع حكومات دول الاتحاد الاوروبي باصدار قوانين تمنع التمييز بين المصابين بهذا المرض وبين الاناس الاعتياديين ليتمكنوا من ممارسة حياتهم الاعتيادية، وكي لايضطروا الى اخفاء اصابتهم به.

ويعد مرض الايدز مرض العصر، اخطر مرض يصيب الانسان وتشتد خطورته حين نعلم انه في درجاته المتقدمة لاعلاج له، وقد ابتليت به عشرات الملايين خلال الاعوام الثلاثين الماضية، (وهي عمر هذا المرض من تاريخ ظهوره حتى الان) وهذا المرض قادر على تدمير مناطق شاسعة باكملها ويجهز على سنوات من النمو الاقتصادي الوطني ويوسع الهوة بين الامم الغنية والامم الفقيرة أو بين الشمال والجنوب على حد تعبير الاوروبيين.

ويسم مجاميع من الناس بسمته ويدفع بهم الى ان يكونوا هامشاً اجتماعياً معزولاً أو منبوذاً بالاصح، ويهدد النسيج الاجتماعي والاقتصادي والاستقرار السياسي للامم.

وقد وصلت نسبة الاصابة بمرض الايدز والعدوى بفايروسه والموت من جرائه درجة عالية لم يسبق لها مثيل في الربع الاول من هذا العام ويقدر لها ان تزداد باطراد وبتعجيل مرعب، فالوباء يحكم قبضته على دول افريقيا الواقعة جنوبي الصحراء ويتقدم في شرقي اوروبا ووسط آسيا، واذا كانت دول اوروبا الغربية قد اتخذت احتياطاتها ولديها القدرة والكفاءة على المواجهة فانها تعترف بهزيمتها في الحرب على الايدز، ولنا ان نتخيل كم هو الوضع مأساوي في دول الجنوب الافريقي، حيث الفقر والجهل وانعدام الارادة في المقاومة أو عدم امتلاك القدرة عليها.

وتؤكد نشرة المعلومات عن وباء الايدز عام ٢٠٠٤ والربع الاول من عام ٢٠٠٥ مقارنة بارقام عام ٢٠٠٣ هذه النشرة التي اعدتها unaids، البرنامج المشترك للأمم المتحدة الذي يعمل ضمن اطاره عدد من المنظمات ومنها منظمة الصحة العالمية واليونسيف وغيرها اضافة الى البنك الدولي، تؤكد هذه النشرة الا حدود تتوقف عندها سرعة انتشار المرض.

اوروبا واميركا والامم المتحدة في حالة انذار دائم لمكافحة الايدز

وتشير احصائيات (اليونايدز) الى ان زهاء ٤٠ مليون شخص في العالم- عام ٢٠٠٣ كان مصاباً بالايدز وقد ارتفع هذا الرقم الى ٤٥ مليون شخص خلال عام ٢٠٠٤ وازداد نصف مليون مصاب خلال الربع الاول من عام ٢٠٠٥ منهم ٢,٥ مليون طفل دون سن الخامسة عام ٢٠٠٣ ارتفع الى ٢,٦٠٠ عام ٢٠٠٤ والى ٢,٦٥٠ في الربع الاول من عام ٢٠٠٥، وهذه الاحصائيات ليست دقيقة تماماً، فهناك عدد كبير من الدول تخفي الارقام الحقيقية للاصابات في بلدانها، وكذلك يخفي العديد من المصابين اصاباتهم لاسباب اجتماعية ومعيشية.

وقد توفي ثلاثة ملايين مصاب عام ٢٠٠٣ ارتفع الى اربعة ملايين عام ٢٠٠٤ والى ١,١٠٠ مليون في الربع الاول من عام ٢٠٠٥.

ويقول الدكتور بتير بايوت المدير التنفيذي للبرنامج المشترك للامم المتحدة (يونايدز): ان وباء الايدز مستمر بالاتساع ولم يصل بعد حدوده القصوى، اناس كثر أصيبوا بالعدوى هذا العام اكثر من أي وقت مضى واناس ماتوا اكثر من أي وقت مضى بسبب الايدز، الايدز هو السبب الاول للمرض في افريقيا والسبب الرابع في العالم حتى الان.

وتبقى دول افريقيا-جنوب الصحراء-اكثر الدول تضرراً، حيث كان هناك ٣,٢ مليون اصابة جديدة عام ٢٠٠٣، تزايدت الى ٤,١ مليون اصابة عام ٢٠٠٤ و ٤,٥٠٠ مليون اصابة في الربع الاول من عام ٢٠٠٥، وحدثت ٢,٢ مليون حالة موت عام ٢٠٠٣ و ٢,٥٠٠ حالة موت عام ٢٠٠٤ و ٧٥٠ ألف حالة موت في الربع الاول من عام ٢٠٠٥، وهذه الارقام ليست نهائية لاسباب عديدة ولاتمثل بعض المناطق الريفية، حيث تكثر الاصابات بسبب عدم التبليغ لاسباب اجتماعية.

والدول الافريقية (جنوب الصحراء) ضمت مانسبته ٣٠٪ من عدد المصابين في العالم، وقد ارتفعت هذه النسبة حتى الربع الاول من عام ٢٠٠٥ الى ٤١٪ أي انها رتفعت بنسبة ١١٪ خلال عام وربع وهي نسبة مرعبة، لانها تزيد على ٣٠٪ محلياً بالرغم من ان عدد نفوس هذه الدول لايتجاوز ٢٪ من عدد نفوس العالم، وفي بوتسوانا وسوازيلاند تفرق نسبة الاصابة ٤١٪ من نسبة السكان البالغين، وواحدة من كل خمس نساء حوامل، مصابة بالمرض في بعض دول جنوب افريقيا.

واذا احتسبنا العقد الاول من تاريخ ظهور المرض الذي تجاوز الان ثلاثة عقود (عقد ظهور وانتشار بطيء لم يلفت الانتباه اليه بشدة) فان العقدين الاخيرين حولاه الى مرض دمار شامل، اذ يموت يومياً ثمانية الاف وخمس مئة مصاب والرقم يزداد مع الايام وينتشر المرض مع ازدياد استعمال الحقن الوريدية الملوثة والجنس غير المأمون، وهو يتقدم بسرعة في الهند والصين وفيتنام واندونيسيا وروسيا واوكرانيا واستونيا ولاتفيا، وسوف تمر سنوات قبل ان تتم مواجهة هذا الوباء والحد من نفوذه.

وفي مايخص الاصابات الجديدة في هذه الدول فان الشباب هم الاكثر اصابة بسبب عدم التحوط والحذر والاندفاع غير المسيطر عليه في اقامة العلاقات الجنسية، وتبلغ نسبة الاصابات في النساء نحو ٣٣٪ وبالرغم من ارتفاع معدلات الاصابة تبقى الجهود المبذولة للوقاية قليلة جداً متمثلة بالتوجيه لممارسة الجنس السليم والتحوط في العلاقات وممارسة الجنس الامن، والتدقيق في وسائل الحقن الوريدي والتأكد من نظافتها وعدم تلوثها.

ومن المؤكد حسب ماينشره البرنامج المشترك للأمم المتحدة ان رقم (١٤) الف حالة اصابة جديدة يومياً كانت تحدث عام ٢٠٠٣، قد تجاوزت رقم ١٩ ألفاً عام ٢٠٠٤ وان النسبة قد زادت الى نحو ٣٥٪ من هذا الرقم في الربع الاول من عام ٢٠٠٥، واكثر من ٩٥٪ من هؤلاء يعيشون في دول فقيرة أو متوسطة الدخل ويقول مدير البرنامج بايت (ان تقرير اليوم يحذر المناطق التي تمر بمرحلة اصابات جديد بان عليها ان تعمل الان بجدية وبسرعة أو تدفع الثمن غداً مثلما تدفعه افريقيا اليوم).

ويمتد الوباء كل يوم الى مناطق جديدة من العالم لم تختبر من قبل الا في ضوء حالات نادرة مثل بعض مناطق آسيا والمحيط الهادي، وهناك زيادات سريعة في الصين واندونيسيا وفيتنام والارقام تبين كيف يمكن للوباء ان يثور كلما كان هناك استعمال غير سليم للحقن، كما في دول شرق اوروبا ان الاستجابة العالمية للوباء قد تحسنت كما يبدو من الدعم المالي والسياسي في السنوات الاخيرة، ولكن التحسن مازال قليلاً وبطيئاً جداً لمواجهة الوباء المتضخم بتعجيل لاتوازيه النشاطات والجهود والاموال المبذولة لمقاومته، وتقوم منظمة الصحة العالمية مع شركاء آخرين بتطوير ستراتيجية عالمية لجلب ادوية مضادة لفايروس الايدز الى ثلاثة ملايين شخص هذا العام (٢٠٠٥) في مايسمى بمبادرة ٣في٥ وهذا عمل غير مسبوق لزيادة عدد المصابين الذين يتسلمون العلاج.

يقول الدكتور (لي هونغ) المدير العام لمنظمة الصحة العالمية في تقرير له حول هذه المبادرة (لكي تنجح مبادرة ٣ في ٥ ولكي يزداد الحصول على العلاج في المستقبل فان المجتمع العالمي يجب ان يزيد من مساعداته المالية واللوجستية.

وتبين تقارير البرنامج المشترك للامم المتحدة المقدمة حديثاً عن خيبة الامل في تحقيق تقدم فعال، وتؤشر العديد من الفجوات والثغرات الموجودة والمستجدة في برامج مقاومة ومكافحة الايدز والوقاية منه والتوعية والاعلام، وتشير الى ان هناك القليل مما قدم تم ويتم عمله فيما يخص الجهود المبذولة للوقاية من الوباء حتى في اكثر اساسياته التي تعد ذات جدوى اقتصادية، وان كثيراً من الدول الاكثر اصابة بالمرض لاتوجد فيها برامج وطنية للوقاية.

وتشير هذه التقارير الى ان الكثير من دول العالم التي وافقت على اعلان الالتزام بمكافحة الايدز وفايروسه (الاعلان الذي اعتمد في دورة الجمعية العالمية للامم المتحدة الخاصة بالايدز وفايروسه عام ٢٠٠١) ولم تشرع بعد اية قوانين تمنع التمييز ضد الاشخاص المصابين، وهذه القوانين ضرورة لجهود الوقاية، اذ يمكن ان تساعد الافراد على الخضوع لاختبار تطوعي للتحري عن فايروس الايدز من دون خوف من الاضطهاد والتمييز هذا وتشكل محاربة (الوصمة) والتمييز شعار الحملة العالمية لمكافحة الايدز الاتي يشنها بلا كلل وعلى مدار العام برنامج الامم المتحدة المشترك، ومع ذلك يقول الامين العام للامم المتحدة بهذا الشأن (لدينا الالتزام العالمي، ومصادرنا المادية تزداد، لكن الفعل مازال قاصراً عن الاجتياح).

-ويتحدث الخبراء والعاملون في برنامج الامم المتحدة المشترك عن الشرق الاوسط وشمال افريقيا، كوحدة واحدة في تقسيمات منظمة الصحة العالمية، وهي تمتد من المغرب الى افغانستان، وهذه الرقعة الجغرافية الشاسعة، فيها الكثير من العادات والتقاليد والعقائد والاعراف المشتركة التي انعكست على الاحصائيات الصحية لهذه البلدان ومنها معدلات الاصابة بمرض الايدز والعدوى بفايروسه حيث تعد الاقل مقارنة بالمناطق الاخرى، الا انه حتى في هذه الدول، هناك مؤشرات على ارتفاع نسبة الاصابة اذ يقدر ان هناك ٦٠٠ ألف شخص مصاب حتى نهاية عام ٢٠٠٣ ويمكن ان يكون قد ارتفع عددهم ضمن مناخ التسارع في الزيادة الذي شمل العالم كله الى اكثر من ٩٠٠ ألف شخص حتى نهاية آذار عام ٢٠٠٥، وقد قتل الايدز منهم ٤٥ ألف شخص عام ٢٠٠٣ ووصل الرقم الى ٧٥ ألف شخص حتى نهاية آذار ٢٠٠٥، والمعلومات المتوفرة تشير الى ان العدوى بالفايروس تنتشر محلياً داخل دول المنطقة بحكم الجوار، ولم يعد فايروس الايدز مستوردا من خارجها كما كان الامر في البدء، وهذا هو الخطر الاكبر.

الايدز سبب الموت الاول في افريقيا والرابع في العالم

واكثر الدول تأثراً، هي السودان وجيبوتي والمغرب ثم تونس والسعودية، ولكن بسبب اختلاف حجم السكان فان معدلات الاصابة هي الاعلى في جيبوتي حيث ان هناك ٦٨ حالة لكل ١٠٠ ألف نسمة عام ٢٠٠٣ ارتفعت الى ١٠٢ حالة لكل ١٠٠ ألف نسمة في الربع الاخير من عام ٢٠٠٥ ومعدل الاصابة هنا يماثل تلك الاصابات في دول افريقيا-جنوب الصحراء- أما السودان فان الاعداد المطلقة هي الاكثر وبخاصة في الجنوب حيث ينتشر الوباء عن طريق ممارسة الجنس خارج الزواج (بين الرجال والنساء)، وهناك زهاء ٢٪ من الاصابات في بعض المناطق، الا ان الحروب والصراعات تعيق الاحصاءات الدقيقة والجهود المبذولة للاستجابة الفعالة، ذلك مانلمسه جلياً في الجنوب الخارج عن ارادة السلطة المركزية في الخرطوم، والمنفتح اجتماعياً ودينياً، اضافة الى قربه من مصادر اشعاع الوباء في افريقيا.

وفي كثير من دول المنطقة يبدو الوباء وكأنه في بدايته بالرغم من ان قلة المعلومات قد تعني ان نشوباً خطراً له في المنطقة قد اغفل، أو انه قد تم تسييل هذا الاغفال وكبح وسائل الاعلام عن الخوض في موضوعه وكشف درجة خطورته وتصاعد نسب الاصابة به.

ومايقلق اكثر هو انتشار المرض عن طريق المخدرات أو الحقن غير السليم، (بالحقن الملوثة) وبخاصة في البحرين وليبيا وايران وبنسبة اقل في دول اخرى اما في ايران فان اكثر حالات الاصابة تأتي عن طريق الحقن (بين مدمني المخدرات) وقد سجلت معدلات خطرة للاصابة بهذه الطريقة في سجونها وفي احدى الدرسات المقدمة الى البرنامج المشترك تبين ان نصف مستخدمي الحقن (الملوثة) متزوجون وان ثلثهم لديهم علاقات خارج الزواج، مما يشير الى امكانية نقل المرض خارج هذه المجموعة عن طريق العلاقات الجنسية (الحرة)، كما ان تشريع (زواج المتعة) وانتشاره حتى بين المتزوجين، وخروجه عن المألوف والقوانين الشرعية في التطبيق وتحوله الى مجرد غطاء للدعارة، زاد من سرعة التعجيل في رفع نسبة الاصابة بالمرض في ايران.

وهناك مجاميع اخرى عرضة للاصابة بالمرض، وبخاصة (المومسات) والرجال المثليين، وفي دراسة حول الموضوع جرت في اليمن تبين ان ٧٪ من (المومسات) مصابات بالمرض هذا مع العلم ان حقائق الجنس غير معلومة في المنطقة ولاتعرف على وجه الدقة العلاقات بين (المومسات) وزبائنهن ومن ثم بين الزبائن وزوجاتهم واطفالهم، أما المعلومات عن المجتمع الجنسي (المثلي) فهي اقل، الا انه تبين ان ١٪ في مصر و٧٪ في المغرب من المرضى المصابين بالايدز هم من المثليين، اما عن المرض في العراق فله حديثه الخاص، بسبب خصوصية وضع العراق تحت حكم صدام حسين، وخصوصيته ايضاً بعد سقوطه وسنتحدث عنه بما توفر لدينا من معلومات لم يكن من الممكن الحديث عنها أو نشرها في ظل النظام السابق.

تحت الضوء

دورة حياة

احمد الاخرس

عندما كنت في العاشرة من العمر كنت انظر اليه باعجاب شديد،كان في نظري اعظم رجل في العالم، رجل لايخطئ ابدا، صورته الرمادية اللون التي تثير الخوف المشوب بالاحترام، قابعة في اعماق عقلي الباطن، اتذكره وهو يعود من عمله متعبا، صوته، حركاته، رائحته ،يدخل المنزل العتيق الصغير مرحلة الانذار،علينا ان لانثير اية ضوضاء فقد حضر!

ولكن عندما وصلت سن الخامسة عشرة بدات تلك الصورة تتغير شيئا فشيئا،اخذ يعتريها بعض الفتور،لقد بدات التأثيرات الهرمونية في فترة المراهقة تأخذ مجراها ،وتحولت العلاقة بيننا الى شيء اخر ،رغم اني كنت اصارع نفسي احيانا، أتغير هو؟ ام انا الذي تغيرت ؟،لم يعد ذلك الرجل سوبرمانا في نظري .لم يكن انسانا كاملا،كما انه لم يكن ذلك المتفاني في عمله وحياته .

في العشرين بدات لااشك انه كان رجلا عاديا، لقد اختفت منه كثير من المزايا التي كنت اراها فيه ، لقد كان يخطئ في كثير من الاحيان في الحكم على الاخرين ، بل لقد اخذنا نتجادل في كثير من القضايا، وكنت اشاكسه احيانا ،لقد ذهبت صورته المثالية الى غير رجعة.

بعد ان وصلت سن الخامسة والعشرين ،اخذتني الحياة بعيدا عنه ، ودخلت معتركها ،اصبحت مسؤولا عن نفسي، فلن اعتمد عليه مرة اخرى، يجب ان تكون لي حياتي الخاصة، ، ولكن صورته الضبابية ظلت قريبة مني دون ان ادري.

انا الان في الخامسة والثلاثين من العمر ،لقد غادر ذلك الانسان الحياة،وبقيت صوره المتغيرة في ذاكرتي تثير اشياء واشياء،ولكن حينما اواجه احيانا بعض المواقف ،لا أدري لماذا ارى أنا رأيه نفسه واتخذ مواقفه نفسها! لقد بدات اخيرا ادرك انه كان رجلا فيه الكثير من الحكمة ومن روح الحياة ،نعم انه لم يكن رجلا خارقا،الا انه استطاع ان يؤدي دوره في الحياة ومضى.

انظر الى ابنائي الان ،وافكر ان القصة لابد ان تتكرر معهم،الغريب في الامر انني حين تحدثت مع صديق لي قال ان علاقته مرت بنفس دورة الحياة هذه.فهل ان الامر متشابه مع جميع الاخرين أم ان عقدة اوديب تأخذ اشكالا مختلفة ولكنها تحمل نفس المضمون ؟ام انه صراع ازلي بين القديم والجديد ؟اية جدلية غامضة تكتنف قانون التضاد هذا؟

كل ما اتمناه الان ان اقابله لاقول له كلمة اخيرة ،قد كنت احتفظ بها منذ زمن بعيد،بعيد جدا... لقد جاء اخيرا،هاهو يطفيء محرك سيارته القديمة ،ويدخل عبر باب المنزل الصغير العتيق ،ويعبر امامي ،ولكنه هذه المرة كان يلتفت الي ، كان يحمل هالة الحضور نفسها،ولكن بمعان مختلفة هذه المرة،انه يقترب مني ،وكل ماأريد ان اقول له ،كلمة واحدة فقط"اني احبك يابي!".